المحاضرة الخامسة

تابع لنظريات تشكيل الرأي العام (التصنيف الأول: نظريات التأثير القوي)

- **نظريـة دوامة الصمت:**

إنّ النظرية التي منحت وسائل الإعلام قوة أكبر مقارنة بأي نظرية أخرى هي نظرية دوامة الصمت التي طوّرتها إليزابيث نولي–نيومان، التي تقر بأن وسائل الإعلام لها تأثيرات قوية على الرّأي العام ولكن هذه التأثيرات تم التقليل من شأنها أو لم يتم اكتشافها في العقود الماضية بسبب محدودية البحوث، وتشير نيومان إلى أنّ هناك ثلاثة سمات تميز الاتصال الجماهيري، وهي التراكمية، والتواجد الدائم، والتوافق، حيث تشير التراكمية إلى البناء من الرسائل والأفكار على مدى الزمن، أمّا التواجد الدائم فيشير إلى التواجد الواسع لوسائل الإعلام في كل مكان وطوال الوقت، فيما يشير التوافق إلى الصورة الموحدة للحدث أو القضية التي من الممكن تطويرها وغالبا تتشارك فيها الصحف المختلفة والمجلات وشبكات التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى ويتمثل تأثير التوافق في التغلّب على التعرّض الانتقائي على أساس أنّ الناس لا يمكن أن يختاروا أي وسيلة أخرى، وتقديم الانطباع بأنّ معظم الناس ينظرون إلى القضية بالطريقة التي تقدّمها بها وسائل الإعلام.

وتفترض هذه النظرية قيام وسائل الإعلام بعرض رأي الأغلبية، بما يقلّل من أفراد الرأي المعارض، اندماجا في الجماعة والأغلبية، كما تؤكّد على أنّ وسائل الإعلام حين تتبنى آراء أو اتجاهات معينة خلال فترة محدّدة من الزمن، فإنّ القسم الأكبر من الجمهور سوف يتحرّك في الاتجاه الذي تدعّمه وسائل الإعلام لما لها من قوة وتأثير على الجمهور، وبالتالي يتشكّل الرأي بما يتناسق وينسجم في معظم الأحيان مع الأفكار التي تدعمها وسائل الإعلام، لاسيما التلفزيون فهي تؤكّد بأنّ وسائل الإعلام بشكل عام تنحاز أحيانا إلى إحدى القضايا أو الشخصيات، بحيث يؤدي ذلك إلى تأييد القسم الأكبر من الجمهور للاتجاه الذي تتبناه وسائل الإعلام، وذلك بحثا عن التوافق الاجتماعي، أما الأفراد المعارضين لهذه القضية أو تلك الشخصية فإنّهم يتّخذون موقف الصمت تجنّبا لاضطهاد الجماعة الكبيرة المؤيّدة أو خوفا من العزلة الاجتماعية.

وتقوم النظرية على فرض أساسي هو أنّ معظم الناس يخافون بطبيعتهم من العزلة، خوفهم هذا يجعلهم يتبعون الأغلبية في محاولة للتوحّد معهم، حتى لو كان ذلك على حساب إخفاء آرائهم أو وجهات

نظرهم التي تختلف مع رأي أو وجهة نظر الأغلبية، وبالتالي التزام الصمت حولها، وهذا الصمت سيتزايد التمسك به مع تصاعد تأييد وسائل الإعلام لوجهات نظر الأغلبية والإعلان عنها، وبالتالي فإنّ الأقلية الصامتة ستفضّل الالتزام بالصمت بدلا من الإحساس بالعزلة عن الآخرين الذين يمثّلون الأغلبية، أو وجهات النظر السائدة في وسائل الإعلام.

ويقوم الفرض النظري على دعامتين، الأولى أن الأفراد يتجاهلون ما يرونه بأنفسهم ويتمسّكون بما تراه الجماعة خوفا من عزلتهم عنها، والثانية أنّ وسائل الإعلام تقوم بنشر وتعزيز وجهة النظر السائدة أو المهيمنة في الرأي العام، وبالتالي فإنّ تعزيز وسائل الإعلام لوجهات النظر السائدة سوف يؤدّي بالتالي إلى اختفاء الآراء أو وجهات النظر التي تتبناها الأقلية، وتضرب مثلا على ذلك بتصويت الأفراد في المراحل النهائية للانتخابات مع الأفراد الذين تشير وسائل الإعلام –في عرضها لاقتراحات الرأي العام– إلى أنّ سيفوزون رغم أنّهم ما كانوا ليقوموا بذلك في بداية التصويت أو الاقتراع.

وترى إليزابيث نولي أنّ هناك عوامل تدع الناس للحرص على إبداء وجهات نظرهم والمشاركة بآرائهم، منها:

- ✓ **الانسجام مع الأغلبية:** إبداء الرأي يمنح المرء إحساسا بالانتماء إلى رأي الأغلبية، بينما حينما يكون للفرد رأي مُخالف فإنّه عادة يلتزم الصمت.
- ✓ **التطابق:** يميل المرء إلى التخاطب مع من يتفقون معهم بالآراء أكثر ممّن يختلفون معهم.
- ✓ **الميل للتواجد:** تقدير المرء لذاته يدفعه إلى إبداء رأيه.
- ✓ **الدعم:** يميل الأفراد إلى إبداء آرائهم عندما يشعرون أنّهم أكبر عددًا ويمثّلون الأغلبية: وأحيانا تشجّعهم القوانين على ذلك، بينما في غير هذه الحالات سوف يميل الفرد لالتزام الصمت، ويزداد هذا الصمت كلّما ازداد الضغط لصالح رأي الأغلبية.

- **الانتقادات الموجهة للنظرية:** وُجّهت لنظرية دوامة الصمت انتقادات نلخّصها في النقاط التالية:

– **أن تعدّد وسائل الإعلام واختلاف توجهاتها الفكرية والسياسية يجعلنا نتشكّك في فرضية النظرية،** فأصحاب رأي الأقلية تكون لديهم فرص للتعبير عن هذا الرأي في صحافة الأقلية سواء كانت صحافة المعارضة أو الصحافة السرية.

– **تعدّد اتجاهات المعالجات الإعلامية،** فالشك في افتراض التكرار والهيمنة والتسيير اللاإرادي للفرد من قبل وسائل الإعلام في تشكيل الرأي العام، على الأقل في ظل الديمقراطيات الغربية، التي تتعدّد

فيها المصالح، وعلى ذلك يصعب على وسائل الإعلام أن تتبنى اتجاها واحدا وثابتا ودائما من القضايا المطروحة لفترة زمنية طويلة، بالإضافة إلى أنّ وسائل الإعلام لا تعبّر بالضرورة عن رأي الأغلبية الحقيقية، وإنّما تعكس في معظم الأحيان رأي الأغلبية المزيفة التي تروّج لها، كما لا يرجع صمت الأفراد بالضرورة إلى الخوف من العزلة الاجتماعية، وإنّما قد يرجع إلى عدم الإلمام بالقضية المطروحة للنقاش، أو لجهلهم بها من الأصل.

– **أن التطور الحديث في تكنولوجيا الاتصال،** يوفّر للفرد الكثير من الوسائل التي أصبحت الأقليات تعبّر من خلالها عن رأيها وتتبادله مع غيرهم داخل أو خارج الدولة في حدود الامكانيات المتاحة مثل البريد الالكتروني والمؤتمرات عن بُعد من خلال شبكات الحواسب الإلكترونية، وكذلك استخدام أجهزة الكمبيوتر في إعداد وانتاج الصحف الصغيرة التي يمكن أن تحمل الآراء وتوزيعها على الغير، وبذلك يساعد هذا التطور على عدم الإحساس بالعزلة، ولكن يدفعه إلى البحث عن بدائل للرسائل وكذلك بدائل للمؤيدين للرأي، وبذلك فإنّ فرض اختيار الأفراد للصمت بديلا عن العزلة في حالة تصاعد تأثير وسائل الإعلام في النشر والإعلام بالآراء السائدة، يجب أن يُؤخذ بحذر ولا يتم تعميمه دون الكشف عنه، ودراسة مناخ الرأي العام كلّه، والسياق المجتمعي الذي يسمح بالتعدّدية صراحة وضمنيا، بما يسمح للأفراد بالتمسّك بآرائهم حتى لو كانت هذه الآراء تختلف مع الاجماع الذي يلمسه هؤلاء الأفراد من خلال وسائل الإعلام.

المراجع المُعتمدة في المحاضرة:

1– حسني محمد نصر، **نظريات الإعلام،** ط1، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2015.

2– عبير فتحي الشربيني، **الرأي العام: "إشكاليات القياس ونظريات التكوين"**، د. ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 2014.

3– محمد عبد الحميد، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير،** ط3، عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2004.